

أنموذج من الرواية^(١)

شهيدة — ما أغرب أطوار أمك : أتصدق أنى لم أرَ
دموعها حتى اليوم وما أشد تأثير دموع من عين امرأة
جبارة ، مستبدة كأُمك . (تجلس على المقعد)

الياس — (واقفاً) لعلمها تكفر بهذه الدموع عن هفواتها
السابقة ، لكن دعينا من البكاء الآن . فلا دموع أبى ولا
بحار مثلها قادرة أن تعكركا أس سعادتى . (بحرارة) شهيدة !
(يأخذ يديها فى يديه وينظر فى عينيها .) أنت لى الكل
بالكل فى هذا العالم . وأكاد أعتقد أن العناية الآلهية
قد أرسلتك لنجاتى . شهيدة ! أنا عاجز أن أفسر لك أهمية
حبك فى حياتى . قد مرتبى أكثر خمسة وعشرين ربيعاً . وفى كل
ربيع كنت أخرج الى هذه الحديقة وأرى هذه الاشجار
مزهرة وأسمع هذه العصافير تزقزق وأرى السماء الزرقاء
وأشعر بصوت النسيم الليل . لكننى قبل هذا الربيع لم

أكن أرى الجمال فى كل ذلك واليوم لا أرى الا زهار فقط
بل أرى الحياة تدب فى عروقها وأكاد ألس أرى بها . اليوم
لا أرى زرقه السماء فقط بل أرى ما وراء السماء ولا أشعر
بالنسيم فقط بل ألس روح النسيم . وأسمع تغريد العصفور
فأفهم ما يقوله العصفور . وكل ذلك لأن حبك قد أعطانى
نوراً جديداً لعينى وقد كنت بدونك أعمى (يضع يدها اليمنى
ثم اليسرى على فمه ثم يجلس بجانبها .) شهيدة : ما أجمل
الحياة !

شهيدة — (تقهقه مخرجة من جيبها ورقة تقرأ بتمهل)
بتاريخه نحن الواضعين أسماءنا أدناه قد تعهدنا أن نضع حداً
لحياتنا بواسطة المشنقة... (تضحك)

الياس — (يخطف الورقة من يدها بلطف باسمًا) ألا
يكفيك هزءا بى حتى تذكرينى يحنوفى فى مثل هذه الدقيقة
التي أحسبها بدأ حياة جديدة لى ؟ كأن دهرأ قد مر من يوم
كتبت هذه الورقة حتى هذا اليوم ، لندفن الماضى ! (يمزق
الورقة قطعا صغيرة) فأنا أتعهد الآن على نفسى أن أشق

كل من لا يرى في الحياة سوى أشواكها وكل من يفرق
بين قلبين يربطهما حب كحبنا . (تظهر في الباب أم الياس
وقد أخذت زينة يدها اليمنى وداود باليسرى وخليل يمشى
وراءهم والكل يسرون نحو الياس وشهيدة).

شهيدة — (بمزح) أو تشنق أمك كذلك اذا أصررت
على رفضها بقبول اتحادنا ؟ (اذ ترى أم الياس قادمة) هاهي
قادمة نحونا — فماذا تفعل إذا اقتربت مني وصاحت — « اغربني
عن وجهي ؟ » (تبسم) .

الياس — أنا أكفل رضاها . أنا أعرف كيف
أرضيها الآن .

من أنت يا نفسي

إن رأيت البحر يطني الموج فيه ويشور
أوسمعت البحر يركي عند أقدام الصخور
ترقي الموج إلى أن يحبس الموج هديره
وتساجي البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعاً منك إليه

هل من الأمواج جئت ؟

إن سمعت الرعد يدوي بين طيات النمام
أو رأيت البرق يهري سيفة جيش الظلام
ترصدي البرق إلى أن تخطفني منه لظاه
ويكف الرعد لكن تاركاً فيك صدام

هل من البرق انفصلت ؟

أم مع الرعد انحدرت ؟

إن رأيت الريح تدرى الثلج عن روس الجبال
أوسمعت الريح تعوى في الدجى بين التلال

تسكن الريح وتبقى باشتياق صاغيه
وأناديك ولكن أنت عني قاصيه
في محيط لا أراه
هل من الريح وُلدت ؟

إن رأيت الفجر يمشي خلصة بين النجوم
ويوشي جبة الليل المولى بالرسوم
يسمع الفجر ابتهالاً صاعداً منك اليه
وتخرى ، كني هبط الوحي عليه
بخشوع جائيه

هل من الفجر انبثقت ؟

ان رأيت الشمس في حضن المياه الزاخرة
ترمق الارض وما فيها بعين ساحرة
تهجع الشمس وقلبي يشتعل لو تهجمين
وتنام الارض لكن أنت يقظي ترقبين

مضجع الشمس البعيد

هل من الشمس هبطت ؟

ان سمعت البلبل الصياح — بين الياسمين
يسكب الالحان نارا في قلوب العاشقين
تلتظي حزناً وشوقاً والهوى عنك بعيد
فأخبريني هل غنا البلبل في الليل بعيد
ذكر ماضيك اليك
هل من الالحان أنت ؟

إيه نفسي - أنت لحن في قد رنَّ صدام
وقعتك يد استاذ خفي لا أراه
أنت ربح ونسيم أنت موج ، أنت بحر
أنت شمس أنت رعد أنت برق أنت فجر
أنت جبرء من إله :

الشعر والشعراء

بحث إنتقادی أدبی

٣

حرية الابداع

قوانين الشعر . كسواها من الشرائع والسنن . تقيد
الحر . وتعتق المقيد . فهي سجن للقريحة الوقادة ومسرح
لا تُحد أطرافه للقريحة الخامدة . دعوني أبسط هذه الحقيقة
بالمثل .

تصوروا حظيرة محاطة بسياج من الشوك . فيها
الأسد والضبع والنمر والذئب والثعلب والأرنب والخروف
والحية والسلحفاة وربوات من هوام الهواء وحشرات
الأرض . تخقرها زمرة من البدو مدججة بالرماح والسيوف
والنبال . وتصوروا أن أكبر فضيلة يطلبها صاحب تلك
المخلوقات منهاهي بقاءها ضمن السياج .

يتخطر الأسد ذهاباً وإياباً فيصل إلى السياج وينظر
إلى ما وراءه فيرى فضاء لا يحده ومجالاً لا يقاس . يسمع
نبضات قلبه تتضاعف ويشعر بنار تتأجج في صدره .
أصوات تناديه من الغابات . وأشباح في الفضاء تسحر
أبصاره ونسمات من الجبال تزيد ناره ضراماً وتولد تحت
أرجله مناخس لا ترحم ولا يطاق ألماً . انظروا إلى عضلاته
تتجمع وتتوتر وإلى عينيه تقدحان شرراً . وقد تحفز اللوثوب
من فوق السياج ليلبي دعوة الغابات ويخفف دقات قلبه .
« قف ! » — خيال الخفير يمر أمامه فيذكره أن
بقاءه ضمن السياج هو أكبر فضيلة . بل الفضيلة الوحيدة
التي يطلبها منه صاحبه . والأسد ليس آخر المخلوقات في
طلب الفضائل إذا كانت ترضى صاحبه فيرتد عن السياج
وقد فارق البرق عينيه وسكنت لواعج النار في صدره .

كذا يفعل النمر والذئب والضبع . ولكن الآلام التي
يقاسونها وغصات الفؤاد التي يشعرون بها عند ارتدادهم

عن السياج تختلف باختلاف أطباعهم . وشتان بين النمر
والحمل .

هنا يتقدم ابن آوى الى السياج وبيننا هو يحفر بيديه
منفذاً ليخرج منه يرى صاحبه يقترب . وعصاه فى يده
فيحيه بلطافة فائقة ويسأله عن صحة « المدام معلته » ويمود
جاراً ذيل الفخر بان صاحبه لم يكتشف حيلته . وأنه لا يزال
بعده من الطائمين .

أما الأرنب فيدنو من السياج وإذ يلقي نظرة إلى
ما وراء الشوك ويرى ظل الأشجار ويسمع حفيف أوراقها
أو يسمع وقع أقدام الخفير يقفل للحال راجعاً شاكراربه
الذى منّ عليه بصاحب شقوق ليعتنى به وبسلامته ، وليقيم
حوله الحصون والقلاع كي لا تلحقه يد أثيمة من أيادي تلك
الأبالسة المنفية خارجاً التى لاسياج حولها يقبها غدرات من
هم أشد منها ولا صاحب لها يحافظ على امنها . وفوق ذلك
فصاحبه راض عنه لانه من الطائمين

وهناك أقبلت السلحفاة تهادى وقد حفرت فى قلبها

تلك الآية الذهبية — فى الثانى السلامة وفى العجلة الندامة
لا تعد الدقائق ولا الساعات . ترى بقية الحيوانات حولها
تركض وتزأر وتزجر وتشكو وتذمر وهى تسأل ذاتها
بدهشة كلية ما معنى تلك الحركة كلها وما عسى أن يكون
سبب ذلك التذمر ؟ تسمع الأسد يئن من ضيق المجال
ويطلب الفضاء . فتتظر يمنة ويسرة ولا ترى من عقبة فى
وجهها كيفما انقلبت . فتضحك حتى تنقلب بطنها لظهر
وتقول فى ذاتها حقا « إن الجنون فنون »

وإذا حدث وقادتها خطواتها الى السياج يوما تدير
للحال رأسها يمنة أو يسرة وتتابع السير . ويكفيها أن
صاحبها راض عنها أبداً . فهى لم تسمع منه كلمة تأنيب فى
حياتها .

أما عن الحشرات فلا تسأل . ربوات منها تدب فوق
ربوات وكلها لا تطلب أكثر من قتر من الأرض . فهى
ضمن السياج آمن على ذواتها وحريتها مما لو كانت خارجه .

وفوق ذلك هي تتنعم برضا صاحبها وتفتخر بنفس الفضيلة
التي تربط النمر ورفقه ضمن السياج.

ولو تصورتم الآن بدل سياج الشوك قواعد الشعر
العربي وبدل الحيوانات ضمن السياج شعراءنا (وليعدروني
على هذا التشبيه فالإنسان حيوان ناطق على كل حال) وبدل
صاحب الحظيرة وحراسها مئات الأجيال والدواوين التي
التفت حول أشواك السياج فحولتها إلى أسنة تقطر سما
وحراب ينظر من أطرافها الموت وأكسبتها حياة هيئة سرية
غريبة فجعلتها مقدسة في أعيننا، مرهوبة في قلوبنا، بعيدة عن
أن يتناولها قلم الناقد أو أن يلحقها لسان المصلح.

لو تصورتم ذاك لأدر كنتم كم دفنت اللغة العربية ضمن
السياج من أرواح حرة ونسمات سماوية وقرائح حية وكم
أدخلت إليه من أرايب وسلاحف وحشرات، ولأدر كنتم
في الوقت نفسه حالة بشرى خاطئ مثلى جاء يحفر الآن
حول ذاك السياج، بل السور الذي شادته الأجيال وقدرته

الأيام والشرائع والعادات فجعلته مدفناً لحرية الخيال وقصراً
للزعانف والديدان.

أنا أحفر، ولا أمل لي أن أززع أركان هذا السور
إلى الأبد (وحبذا لو كان ذلك في إمكاني .) إنما لي أمل
أن أجد من يضم فأسه إلى فأسي . لي أمل أن أسمع صدى
ندائي يتردد في ألحان بعض شعرائنا الناشئين . لي أمل أن
أحرر ولو قريحة واحدة شعرية من قيود كبلتنا بها زمرة
من أبناء البادية قبل أن رأينا العالم أو رأنا العالم .

دعوا النسور تحلق في جوها فالفضاء كله وجدلاً جلم
دعوا البراة تسبح تحت سمواتها . دعوا الصقور تمزق الهواء
بأجنحتها وبربكم لا تحصروها مع الدجاج في الأقنان !

إذا شقَّ عليكم أن تودَّعوا بحور الشعر أفلا سبيل لكم
أن تستغنوا عن علمي العروض والقوافي؟ وإن لم يسهل عليكم
أن تطرحوا الأوزان أفلا طريقة تطرح بها عنا القافية؟
وإن استحال علينا أن ننبد القوافي أمن الواجب أن نلصق
بكل بيت من أبيات القصيدة ذنباً و« كشكشاً » متشابهين؟

ان كانت الغاية من التفقيه تشنيف السمع فبئسها موسيقى
نشنف بها آذاننا اذا كنا نسمع بين اللحظة والأخرى
صوتاً واحداً لا يتغير كوقع الدلفة أو لقيق الضفادع
تصورا قصيدة من ١٢٠ بيتاً أو أكثر تسمعون فيها كل
عشر ثوان كلمة « عين » . نعم ، شجيرة هذه الموسيقى ولا
شك ، ولكن عند بدوى يسير وراء جماله فيقطع ألحانه على
وزن وطئها . وما أجملنا اليوم تقلد البدوى في نيويورك
وباريس وبيروت والقاهرة الخ !!!

حتى لو كان في ذلك بعض اللذة الموسيقية فمن الحيف
والجهل أن نضحى لأجلها حرية الابداع في الشاعر وأن
نطلب منه أن يشوه الفكر الذي يود تقله والصورة التي
يرغب نقشها لأجل تلك اللذة التي لا أقدر أن أدعوها ،
مع كل اعتباري للموسيقى ، سوى بلادة موسيقية .

حرام أن نشترى الزجاج بالماس ، وأن نضحى
الجوهر في سبيل العرض . قد دفعنا حتى هذا اليوم جزية
باهظة للقواعد والتقاليد ولا تزال ندفع ضريبة فاحشة من

الأفكار الجميلة والخيالات السحرية والصور الفنية لتلك
التقاليد عنها . ويخال لي — وأنا مؤكد تقريباً حقيقة
خيالي — ان تلك التقاليد هي أ. كبر الأسباب بل السبب
الوحيد الذي حرماننا من شاعر روائي كبير كهوميروس ومن
شا كله من القدماء وقضى على أبناء الضاد أن لا يكون لهم
آثار فنية شعرية كالليونان والهنود والمعجم وغيرهم .

لكن تصوروا — حفظكم الله — هوميروس يكتب
الياذة أو أوديسيته باللغة العربية ! أو شكسبير ينسق
رواياته الأبدية حسب قواعدنا الشعرية .

تصوروا دانت ينظم « كوميديته الآلية » بقافية
واحدة أو بعشر قواف اذا شئتم ، أو ملتن ينشد « فردوسه
المفقود وفردوسه المردود » بقافية عينية أو حائية أو
شينية ! ..

أغريب بعد ذلك أن كل ما ظهر من الشعر في اللغة
العربية من عهد عاد وثمود إلى الآن لم يتعد بضعة أبواب
محصورة بين حماسة وغزل وهجو ومدح ورثاء ؟

أمن العجب ان شعراءنا اليوم لا يتجاوزون هذه الحدود التي وضعها لهم الأسلاف ؟ أنا لا ألومهم في ذلك ، انما لا أقدر أن أفهم كيف انهم لا يزالون يجرون نيراً ثقيلاً تفرحت رقابهم تحته ولم يخطر لواحد منهم أن يطرحه عن عنقه .

أنا لا أصدق بوجود شاعر عربي لم يناطح القوافي ويطاردها ولم يصرف دقائق ، بل ساعات ، بل ليالى في حربها والتنقيب عنها ، أنا لا أصدق بوجود واحد لم يشعر في مثل تلك الساعات بثقل النير وضغطه وبلعنات ترا كض إلى أطراف لسانه خارجة من أعماق قلبه ، وإذا كنا إلى الآن لم نسمع شكوى ولم نر اعتراضاً فذاك لأننا ألفنا احتمال الضنك « على السكت » ، وكثيراً ما تفضل أن نصبر على الضيم من أن نرفع صوته صوتاً .

الفنون الجميلة ، كسواها من مناهج هذه الحياة وفروعها ، معرضة للظلم والفساد والعبودية والاستبداد فهي تحتاج بين الفرصة والأخرى إلى محررين يجرأون أن يرفعوا

صوت الاعتراض ضد قيود الاستعباد . للماليك محرروها
وللأديان مصلحوها وللفنون محيوها . والشعر كفن جميل
يحتاج دائماً الى نسمة حياة جديدة تنعش عظامه القديمة .
وشعرنا العربي لا دواء له سوى ثورة تزعزعه من أركانه
فتقتلع كل ما عفن وانث من أصوله وتقيم على أبقاضه بناء
جديداً للقريحة العربية الحرة .

وانى لأرى الغيوم تتلبد والفضاء يقيم والبرق يلمع
وأسمع زعزعة الريح عن بعيد وولولة الأشجار فى الغابات .
وانى لأشم رائحة العاصفة وقد انتشرت فى الهواء ،
وليس ذاك اليوم بعيداً حين تقصف أول رعدة وتنفجر
أول سحابة لتجرف أوهامنا الشعرية وتعتقنا من قيود تكاد
تذهب بأنفس ما فينا من المواهب والآمال . لا بل قد أتى
ذاك اليوم فانى لأقرأ فى ثر جبران خليل جبران مرثاة
للشعر القديم وقواعده ، وفى بعض أشعار « اليف » أرى
لحد القافية المتابعة فى كل بيت من أبيات القصيدة .
واذا كنت قد أطلت الحديث فى هذا الباب فذاك

لأن قشعريرة تعتريني عند ما أفكر بالساعات والأيام
والسنين الذهبية التي تصرفها شببيتنا داخل المدرسة وخارجها
في الاعتناء بحفظ كل ما يتعلق بالنظم من القواعد والقوانين
وفي درس قشور الشعر لآله . لأنني أرى أمتنا السورية
التاعسة مشبكة بالقيود من الداخل والخارج فيشق على أن
نرانا تمكن ما تقدر على حله منها بأيدينا وكفانا يا قوم ما نحمله
من تظلم الغير وتعديهم . وأخيراً لأنني أرى مواهب شعرية
حقيقية وقرائح حرة حية تذهب ضحية الأوهام التي ورثناها
عن أبناء البادية فتنسحق تحت ثقلها أو تضيع بين منعرجاتها
وسراديبها وبما اني لا أرى عندنا من المواهب ما تقدر أن
نستغنى عنه أو نفرقه على الغير أو تقدمه ذبيحة لعلماء الشعر
وأئمة اللغة فأنا أغار على كل ذرة منها تذهب سدى أو نموت
لأن جرائم الموت التي ورثناها عن أجدادنا تولد معها وفي
امكاننا أن نستأصل تلك الجرائم اذا شئنا .

وقد آن لنا أن نقف ولو مرة في ألني عام أمام هذا
السور الحديدي من الأوهام والتقاليد التي زفها إلينا

الأسلاف ونسأل ما هو وهل نحن في حاجة اليه . آن لنا أن
نكف ولو بوهة قصيرة عن حرق بخورنا امامه ليتبدد عنه
دخان الدهر فراه — في هيأته الحقيقية . ولو فعلنا ذلك
لا نقشعت عن أبصارنا غمامة رافقتنا دهوراً ولم نكن
ندري بها .

فحبذا يوم نسمع فيه شاعرنا يوقع ألقانه على الأوزان
التي يختارها قلبه وتميل اليها نفسه دون أن يرى ذاته مربوطا
بلوازم العروض والقوافي . حبذا اليوم يوم لا نعود نعبد
فيه الهيأة الخارجية أو تقيس الشاعر بقواعد الصرف
والنحو . وحبذا اليوم ندفن فيه الطائيات واللاميات
والعينيات والخاليات في غبار التاريخ ونفتح لشعرائنا مجالا
للخيال والتعبير لا تحصره قافية ولا يقيده روى !

أخي

أخي : إن صُنِّجَ بعد الحرب غربيٌّ بأعماله ،
وقدس ذكر من ماتوا ، وعظم بطش أبطاله ،
فلا تهزج لمن سادوا ، ولا تشمت بمن دانا ،
بل اركع صامتاً مثلي بقلب خاشعٍ دام
لنبيكي حظ موتانا

*
* *

أخي : ان عاد بعد الحرب جنديٌّ لأوطانه ،
وألقي جسمه المهوك في أحضان خلانته ،
فلا تطلب اذا ما عدت للأوطان خلانا ،
لأن الجوع لم يترك لنا صعباً نناجيهم
سوى أشباح موتانا

*
* *

أخي : ان عاد يحرث أرضه الفلاحُ أو يزرع ،
ويبنى بعد طول الهجر كوخاً هذه المدفع ،

فقد جفت سواقينا ، وهذا الذل مأوانا ،
ولم يترك لنا الأعداء غرساً في أراضينا
سوى أجياف موتانا

*
* *

أخي : قد تمّ مالو لم نشأه نحن ماتماً ،
وقد عمّ البلاء ، ولو أردنا نحن ماعماً ،
فلا تندب ، فاذن الغير لا تصنى لشكوانا ،
بل اتبعني لنحفر خندقاً بالرفش والمعلول
نُؤاري فيه موتانا

*
* *

أخي من نحن ؟ لا وطن ، ولا أهل ولا جار ،
إذا نحنا ، إذا قمنا ، ردانا الحزى والعار ،
لقد خمت بنا الدنيا ، كما خمت بموتانا
فها بالرفش واتبعني لنحفر خندقاً آخر
نُؤارى فيه أحيانا

الحنطة والنون

(نظرة في الأبيات)

يتوهم البعض أنني أجد لذة كبيرة في التنديد بشعرنا
وشعرائنا والمجاهرة بفقرتنا إلى الأدب والادباء. يقولون إنني
لا أرى في حياتنا الأدبية سوى جهتها السوداء، وأنني أحول
نظري عن كواكبها وشموسها، وأن لا وتر عندي أضرب عليه
سوى وتر الندب، وأنني أسير في حقل حياتنا فلا تقع عيني
سوى على زوانه وأشواكه. وما حيلتي إذا كنت لا أرى
من حولي سوى الزوان والشوك؟ إذا شكوت فقرنا
فلاعتقاد راسخ في عقلي بأننا لن نسمي وراء تحسين حالتنا
حتى ندرك كل ما فيها من البؤس والظلمة والخلل. وإذا
ندبت وجه يومنا القائم فلا تني أو من بان فينا من القوى
والمواهب ما يجعل يومنا باسما ويبدل ظلمتنا بنور. وأظن
أن يومنا يتخض بغد باهر لكن ولادة هذا الغد ستكون

محاطة بأوجاع مبرحة سببتها لعنات أمسنا . ونحن نشعر
الآن بهذه الأوجاع لكننا نحتملها كما تحتملها الوالدة التي
ستصبح إماما .

وفي « الأيوبيات » نرى صورة هذا الدور الانتقالي
الذي نتكلم عنه في ديوان رشيد أيوب قد لامس طرف
ليلنا أهداب جرننا . وهذه حلاوة الديوان في نظرنا .

من يطالع قصيدة « فرديناند وجيشه » أو « حنين »
أو « رثاء المطران هواويني » أو « وقفة على الهدسن »
وسواها ولا يسمع فيها أصوتا قديمة عرفناها وألفناها وملها
سمعنا ؟ أم من يقرأ أبيتا كهذه :

إذا مانسيم الشوق هز قريحتي تساقط منها الدر في روضة الشعر
أو —

لأشاع شعري بما احتوى دررا ولا تباغت بنظمي العرب
أو —

ألت بصدرى كل نازلة إذا ألت بصم الراسيات تززع
الخ ...

— من يقرأ مثل هذه الايات ولا يدرك على الفور
انها رنات أوتار قديمة في شعرنا أخذت والحمد لله تتقطع
رويداً رويداً ؟

إذا سئمنا القديم ونبذناه فليس لنا نعد كل قديم بالياً
فاسداً . ربما صعب على شاعر اليوم أن ينظم في موضوع لم
تتناوله قرائح الشعراء قبله ربما لم يترك لنا امرؤ القيس والنابغة
والمتنبى وأبو تمام وسوفوكلس وهو ميروس ودانتي وشكسبير
وملتون ما تقدر ان تنظم اليوم فيه الشعر وتدعوه جديداً
لكن الشاعر الحقيقي من يري هذه الاشياء نفسها فيطرحها
في أثون عواطفه ويمدها على سندان فريحتته ويصقلها بمصقل
أفكاره ثم يقدمها لنا في هيئة جديدة تساعدنا لنترفع فوق
اقدار الحياة وشناعتها الى جمال البقاء وكماله . وأكثر شعرائنا
الذين يشكون قلة المواضيع الشعرية ، ولذلك يعالجون المطروق
والمبتذل ، لم يدركوا هذه الحقيقة — ولعل أبناء الغد سيدركونها
إذا ضاقت بالشاعر الطبيعة كلها فلا يجب أن تضيق به
نفسه . نفس الشاعر وقلبه خزينة لا تفرغ لمن يعرف

اسرارها ويفكر في غوامضها . وهذه الخزينة هي التي لجأ اليها رشيد أيوب فآخفنا منها ببعض هدايا ثمينة هي الخنطة في ديوانه وما بقى فزوان . من هذا القبيل نعد قصيدة « خلياني » هنا نسمع روح شاعر حقيقى نظرت الى ما حولها فرأت نفسها « غريبة » ورأت « شأنها عجيبا » ليس يحلوها « سوي الليل الطويل » لذلك تطلب أن تنفرد بنفسها وتصبح بل تتوسل - « خلياني ! » . هذه الروح نفسها تحيا مع الطبيعة في كل أحوالها وأطوارها وتنشد -

أحب الشتاء لان له ضبابا كهى ثقيل كفيف
وأهوى الربيع فانفاسه دواء لجسمى العليل الضعيف
وأصبوا الى الصيف متأنسا بوحشة ليلي الطويل المخيف
وتشتاق نفسى الخريف وقد تجنى على رمان الخريف
هذه النفثات من قلم الشاعر تكفر عن كل ما فى
الديوان من المساوى . تنسينا هنا بيتا ركيكا وهناك قافية
« محشوة - لضرورة الشعر » .

لا فلسفة فى الديوان تقدر أن نعيها هنا انتباهاً خاصا .

شاعرنا يكثر التأفف من أمور الحياة ولا يحاول أن يعلل
ولو أبسطها . ففكر بأمر الموت والحياة فلم يجد جوابا
سوى —

فلعمري ليس الا حلما ذلك الفردوس قصه الرواة
ثم عاد فوجد الأفضل أن يترك كل هذه الأمور
المبهمة للخالق . لذلك ينصحنا —

خل الأمور لربها لا شئ في الدنيا عرف
هيات تدرك ياءها مازلت تجهل ما الألف
دعى البعض رشيد أيوب « شاعراً رقيقاً » ولا تنكر
عليه « لقبه » لأن في بعض قصائده — كتلك التي يخاطب
فيها شبابه — من الرقة ما لا نراه في أشعار كثيرين من
اخوانه في الفن . لكن أهمية « الأيوبيات » — كما قلنا
سابقاً — في انها تمثل الدور الحالى في حياة شعرنا — دور
الانتقال — إذ قد جمعت بين القديم المستهجن والحديث
المستحب . فيجب أن تطالع لما فيها من الرقة والحدأة .

النهر المتجمد

يا نهر ، هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخريف ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فاثنتيت عن المسير ؟
بالأمس كنت مرثما بين الحداثق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدهور
بالأمس كنت تسير لا تخشى الموانع فى الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينه اللحد العميق
بالأمس كنت اذا أتيتك با كيا سليتنى
واليوم صرت اذا أتيتك ضاحكا أبكىتنى
بالأمس كنت اذا سمعت تهدي وتوجى
تبكى . وها أبكى أنا وحدى ، ولا تبكى معى
ماذا جرى لك بعد ما قد كنت تهزج فى الصباح ؟
هل أجدتك كآبى وسمعت ندبى والنواح ؟
ماذا جرى لك بعد ما قد كنت تنشد فى المساء ؟
هل دامت لك مصائب مثلى فأخرسك الأسمى ؟

ما هذه الأكفان — أم هذى قيود من جليد
قد كبلتك وذلتك بها يد البرد الشديد ؟
ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يمجثو كئيبياً كلما مرّت به ريح الشمال
والحور يندب فوق رأسك نائراً أغصانه
لا يسرح الحسون فيه مردداً ألحانه
تأتيه أسراب من الغربان تنعق في الفضاء
فكانها ترثي شباباً من حياتك قد مضى
وكانها بنعيمها عند الصباح وفي المساء
جوق يشيع جسمك الصافي الى دار البقاء



لكن سينصرف الشتاء وتعود أيام الربيع
فتفك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع
وتكرر موجتك النقية حرة نحو البحار
حبلى بأسرار البقا ثملى بانوار النهار
وتعود تبسم اذ يلاطف وجهك الصافي النسيم

وتعود تسبح في مياهاك أنجم الليل البهيم
والبدر يسط من سماء عليك مترا من لجين
والشمس تستر بالأزاهر منكيبك العاريين
والحور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشمخ اتفه ويمس مخضر الفنن
وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب



قد كان لي ، يأنهر ، قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيه أميال وآمال تموج
قد كان يضحى غير ما يمس ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه أمواج الأمل
فتساوت الأيام فيه — صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة — نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء ،
سيان نوح البائسين وضحك أبناء الصفاء
(١٠ — مختارات)

نبذته ضوضاء الحياة فال عنها وانقرد
وغدا جمادا لا يحن ولا يميل الى أحد .
وغدا غريبا بين قوم كان قبلا منهم
وغدت بين الناس لغزا فيه لغز مبهم

يأنهر ذا قلبي . أراه — كما أراك — مكبلا
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك ، وهو — لا ...



أيليا أبو ماضي

شاعر قرض الشعر وهو في الرابعة عشرة من سنه .
فأصبح والشعر فيه ملكة والقوافي عبيد له خاضعة يقودها
كيف شاء .

وُلد في المحمدية ببلنات سنة ١٨٨٩ وهاجز الى مصر
سنة ١٩٠٠ ومكث فيها منصبا على المطالعة والدرس لنفسه
حتى سنة ١٩١١ فنادرها الى أميركا . وسكن سنسنتي . ثم
جاء نيويورك في صيف عام سنة ١٩١٦ ليشغل بالادب وله
« ديوان أبي ماضي » . طبع الجزء الأول منه في مصر
والثاني في نيويورك .



الفقير

فنبأ بمقلته عن الاغفاء	هم ألم به مع الظلماء
والحزن نار غير ذات ضياء	تعمس أقام الحزن بين ضلوعه
ويخاله كلفاً بهن الرأى	يرعى نجوم الليل ليس بهوى
في وجنتيه أدمع «الخنساء»	في قلبه نار «الخليل» وانما
في نفسه، والجوع في الاحشاء	قد عضه اليأس الشديد بنابه
خلو تلك الدار في يبداء	فأقام جلس الدار وهو كأنه
ما حيلة المحزون غير بكاء	يبكى بكاء الطفل فارق أمه
عمدا فيخلص من اذى الدنيا	حيران لا يدري أ يقتل نفسه
والعيش لا يحلو مع الضراء	أم يستمر على الفضاضة والقذى
يا ليل طلت وطال فيك عنائي	طرد الكري وأقام يشكوليله
حتى ليؤلم فقدته أعضائي	يا ليل قد أغريت جسمي بالضنى
يفرى الحشى والههم أعسر داء	ورميتنى يا ليل بالهم الذى
أتراك والأيام من أعدائي	يا ليل مالك لا ترق لحالى
رحماك لست بصخرة صماء	يا ليل حسبي ما لقيت من الشقا

بن يا ظلام عن العيون فربما طلع الصباح وكان فيه عزائي

* *

وارحمنا للبائسين فانهم موتى ونحسبهم من الاحياء
انى وجدت حظوظهم مسودة فكأنما قدت من الظلماء
أبدأ يسر بنو الزمان وما لهم حظ كغيرهم من السراء
ما فى أكفهم من الدنيا سوى أن يكثرُوا الاحلام بالنماء
تدنوا بهم آمالهم نحو الهنا هيات يدنو بالخيال النأى
بطر الأنام من السرور وعندهم ان السرور مرادف العناء
انى لأحزن أن تكون نفوسهم

غرض الخطوب وعرضة الارزاء

* *

أنا ما وقفت كى أشيب بالطلا مالى وللتشيب بالصهبا
لا تسألونى المدح او وصف الدى انى نبذت سفاسف الشعراء
باعوا لأجل المال ماء حياتهم مدحاً وبت أصون ماء حياتى
لم يفهموا بالشعر الا أنه قد بات واسطة الى الاثراء
فلذا كمالا قيت غير مشيب بالغانيات ، وطالب لعطاء

صنفت به الدنيا الرحبة فاثني بالشعر يستجدي بني حواء
شقي القريض بهم وما سعدوا به لولا هم أضحي من السعداء
نادوا علينا بالمحبة والهوى وصدورهم طويت على البغضاء
ألقوا الرياء فصار من عاداتهم لعن المهيمن شخص كل مرأى
ان يفضبوا مما أقول فطالما كره الأديب جماعة الفوغاء
أوينكروا أدبي فلا تعجبوا فالرُمد يؤامهم طلوع ذكاء
أو كلما نصر الحقيقة فاضل قامت عليه قيامة السفهاء

*
* *

أنا ما وقفت اليوم فيكم موقفي الا لأنذب حالة التمساء
على أحرك بالقريض قلوبكم ان القلوب مواطن الأهواء
لهني على المحتاج بين ربوعكم يمسي ويصبح وهو قيد شقاء
أمسي سواء ليله وصباحه شتان بين الصبح والامساء
قطع القنوط عليه خيط رجائه والراء لا يحيا بنير رجاء
لهني ولو أجدى التعبس تلهمي لسفكت دمي عنده ودمائي

*
* *

قل للغي المستمر بماله مهلا لقد أسرفت في الخيلاء

جبل الفقير أخوك من طين ومن ماء ، ومن طين جبلت وماء
فمن القساوة أن تكون منما ويكون رهن مصائب وبلاء
وتظل ترفل بالحرير أمامه في حين قد أمسى بغير كساء
أتضمن بالدينار في اسمافه وتجود بالآلاف في الفحشاء
أنصر أخاء فان فعلت كفيته ذل السؤال ومنّة البخلاء

*
* *

اذوى اليسار وما اليسار بنافع ان لم يكن أهلوه أهل سخاء
كم ذا الجمود وما لكم رهن البلى وبم الغرور وكلكم لفناء
ان الضعيف بحاجة لنضاركم لا تقعدوا عن نصره الضعفاء
أنا لا أذكر منكم أهل الندى ليس الصحيح بحاجة لدواء
ان كانت الفقراء لا تجزيكم فالله يجزيكم عن الفقراء

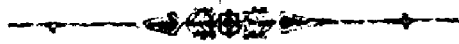


?

قال الغراب وقد رأى كاف الورى
وهيامهم بالبلبل الصداح
لم لاتهم بى المسامع مثله
ما الفرق بين جناحه وجناحى ؟
انى أشد قوے وأمضى مغبلا
فعلام نام الناس عن تمداحى ؟

امفرق الاحباب عن أحبابهم
ومكدر اللذات والأفراح
كم فى السوائل من شبيه للطلا
فعلام ليس لها مقام الراح ؟
ليس الحظوظ من الجسوم وشكلها
السر كل السر فى الأرواح

والصوت من نعم السماء ولم تكن
ترضى السما الا عن الصلاح
حكم القضاء — فان تقمت على القضاء
فاضرب بعنقك مدية الجراح :



متى يذكر الوطن النوم

جلست وقد هجم الغافلون	أفكر في أمسنا والغد
وكيف استبد بنا الظالمون	وجاروا على الشيخ والامرد
نخلت اللواعج بين الجفون	وأن جهنم في مرقدے
وضاق الفؤاد بما يكم	فأرسلت العين مدارها

ذكرت الحروب وويلاتها	وما صنع السيف والمدفع
وكيف تجور على ذاتها	شعوب لها الرتبة الارفع
وتخضب بالدم راياتها	وكانت تدم الذي تصنع
فباتت بما شيدت تهدم	صروح العلوم وأسوارها

نساء تجود بأولادها	على الموت والموت لا برحم
وجند تذود بأكبادها	عن الارض والارض لا تعلم
وتغذو الطيور بأجسادها	فان عطشت فالشراب الدم

وفي كل منزلة مأثم تشق به الفيد أزارها

لقد شبع الذئب والجدال	واقفرت الدور والاربع
فكم يقتل الجحفل الجحفل	ويفتك بالاروع الاروع
ولن يرجع القتل من قتلوا	ولن يستعيدوا الذي ضيعوا
خبثس الالي بالوغى علموا	وبئس الالي أججوا نارها

أمن أجل أن يسلم الواحد	تطل الدماء وتنفى الالوف
ويزرع أولاده الوالد	لتحصدهم شفرات السيوف
أمور يحار بها النافذ	وتدمى فؤاد الليب الحصيف
فيا ليت شعري متى نفهم	معاني الحياة وأسرارها

وحولت طرفي الى المشرق	فلم أر غير جبال الغيوم
تحول على بدره المشرق	كما اجتمعت حول نفسى الغيوم
فاسندت رأسى الى مرفقى	وقلت وقد غلبتنى الهموم

بربك أيتها الأنجم متى تضع الحرب أوزارها؟

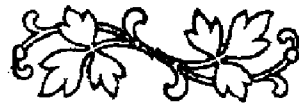
كما يقتل الطير في الجنة	ويقتص الظبي في السبب
كذلك يُجنى على أمتي	بلا سبب وبلا موجب
فحتم تؤخذ بالقوة	ويقتص منها ولم تذب
وكم تستكين وتستسلم	وقد بلغ السيل زناها

وسيقت إلى النطع سوق النعم	مناوئرها ورجال الأدب
وكل امرئ لم يمت بالخدم	فقد قتلوه بسيف السغب
فما حرك الضيم فيها الشمم	ولا رؤية الدم فيها الغضب
تبدلت الناس والأنجم	ولما تبدل أطوارها

*
* *

أرى الليث يدفع عن غيضته	بأنياه وبأظفاره
ويجتمع النمل في قريته	إذا خشي الغدر من جاره
ويمحش الهزار على وكنته	فيدفع عنها بمنقاره
فلا الكاسرات ولا الضيفم	ولا الشاة تمدح جزارها

عجبت من الضاحك اللاعب	وأهلوه بين القنا والسيوف
يبیتون فی وجل ناصب	فان أصبحوا الجأوا للكهوف
وممن يصفق للضارب	وأحبابه يجرعون الختوف
متى يذكر الوطن النوم	كما تذكر الطير أوكارها



الياس فرحات

خصلة الشعر

خصلة الشعر التي أعطيتها عند ما البين دعاني بالنفير
لم أزل أتوسطور الحب فيها وسأتلوها الى اليوم الأخير

خنت عهد الحب لأبأس فاني مكثت بالأثر الحلو الثمين
فانا ما عدت أحيًا بالتمني بعد ما منيتني عشر سنين
أشكر الله فما الاخلاف مني انني كنت لك الصب الامين
راجعى سيرة حبي ، راجعها فهي نور ساطع للمستنير
واذا مررت بك الريح سلبها انها تعرف من أمرى الكثير

هيكلُ الحب تداعى وتراعى تاركا للعين أطلال الوفاء
كتبنا توقظ في قلبي الهياما كلما نام على ذكر الجفاء
اننى أرنو الى الحظ احتراما فأرى في الحظ تقاض الرجاء
وأرى الأسطر آثاراً تقبها غيرنى السماء من عبث العصور

وأرى الحبر وقد جف، شبيها بدم جف على بعض الصخور

واری فیما أرى شكلاً مريماً خصلة الشعر أراها فخال
جثة الحب ، وقد خر صريماً

تحت اتقاض عليها الدمع سال
فيفيض القلب من عيني دموعا

وتغيب الروح عن دنيا الضلال
تلك آثار هوانا فانظر بها

تعلمى ما ذا جنى ذاك الغرور
ودموع صنتها لا تذرفها

ليس بمحو جرمك الدمع الغزير

ربطة القلبين حلتها بذاك ويدي تأبى امتهان الشعرات
لم يحركها الى الامم جفاك فهي لا تعرف غير الحسنات
لمسها مجموعة الشعر يحاكي لمس هذا الثغر تلك الوجنات

ان أعد يوماً الى الحى تريها مثلما سلمتها يوم المسير
هى كالطفلة فى حضن أبيها لا ترى الا حناناً وشعور

هى اصنى منك حباً ووداداً هى أوفى منك رعيّاً للذمم
هى فى غى الصبي لم تبادى هى لم تتبع هوى جر ندم
أنت قوضت من الحب العمادا أنت خنت العهد عمدا وهى لم
لم تراوغ ، لم ترى الصب فيها عسلا والحق فى القلب يثور
قد وقتنى وأنا أيضاً فيها فكلا نا حافظ عهد العشير

كلما أذكر أيام صبا نا ولياليها اللذيات العذاب
تصهر الاحزان فى قلبى الجنا نا وأقاسى كل انواع العذاب
فاذا أبصرت ان الموت حانا وتصورت نزولى فى التراب
نشقه من خصلة الشعر تليها قبلة تحمد ذياك السعير

فتخوض النفس بحر الانس فيها
ويزول الياس عن قلبى الكسير

يا حمامه

يا عروس الروض يا ذات الجناح — يا حمامه
سافرى مصحوبةً عند الصباح — بالسلاّمه
واحملى شوق فؤادٍ ذى جراح — وهيامه

* *

أسرعى من قبل يشتد الهجير — بالتزوح
وأسجى ما بين أمواج الأثير — مثل روحى
واذا لاح لك الروض النضير — فاستريحى

* *

دفر فى فى روضة «الافق الجميل»^(١) — وتغنى
وانظرى محبوبتى عند الأصيل — وتأنى
فهى إن تسألك عن صبٍ عليل — كان عنى

* *

(١) تمريب امم (بللواوريزتني) عاصمة ولاية ميناس حيث
قضى الناظم نحواً من سنتين.

(١١ — مختارات)

خبريها : أنت قلب المستهام
وسليها كيف ذياك الغرام
فهيامى لم يعد فيها هيام
* *

ذكرها بأوقات اللقاء
حين كنا كل صبح ومساء
علّ بالتذكار لى بعض الشفاء
* *

فاذا ما أظهرت حبا ولين
فاجعلى ما بيننا عهدا مكين
وسليها رأيها فى أى حين
* *

واذا أبدت جفا وصدود
فأتركها . انها فى ذا الوجود
حين يأتها زمان فتريد
* *

— ذاب وجداً
— صار صدأ
— بل تعدى

— والتصاوى
— فى اقتراب
— من عذائى

— واشتياقا
— واتفاقا
— نتلاقي

— واعتسافا
— ستكافا
— ونجافى

- وغداً ان أقبل الفصل الخفيف — برعوده
ما الذى يبقى من الورد اللطيف — غيرعوده ؟
ان للحسن ربيعاً وخريف — فى وجوده



أليف

ترنمة السرير

ظلام الويل قد جنّا وبوق الهم قد رنّا
فم يا طفل ، لا يهنّا غنى بات شبعانّا

قتام اليأس غطانّا فم ، لا عين ترعانّا
إذا ما صبحنا حانّا حسبنا الصبح أكفانّا

ألا ياهمّ ، يكفينّا لقد جفت مآقينا
لو ان الدمع ينفذونا أكلنا بعض بلوانّا

بكي طفلي وما نامّا وقضى العمر صوامّا
جنى الآباء آثامّا عليها الله جازانّا

بكي طفلي فلا يرضع نديّا درّها المدمع

نضاد ممي ولم يشبع وكان الدمع طوفانا

ظلام الليل قد أطفأ نجوماً تجذب الطرفا
فما للطفل لا ينفى أيبنى اليوم الحانا؟

من الألمان لا أدري سوى أنشودة الصبر
أغنيها من القهر لطفل بات جوعانا

ملاك الرب في الحلم ينجي الطفل كالأم
يناديه من النجم ألا نم ؛ وقتنا حانا

يناجيه بأيام
سيروي ماؤها الظامي وستأتي ، خيرها طام
ويشفي النور عميانا

ويهديه الى قطر كثير النور والزهر
ويأويه الى قصرٍ فيغدو الطفل سلطانا

من الماء كول والمشرب	فيؤتى بالذي يرغب
لأم صبرها خانا	فبقي منهما الاطيب

أقلى ذاك قد أنا ؟	أصوتى ذاك قد غنى ؟
فقلب الطفل ما لانا	كفى ندبا ، كفى حزنا ؛

ونذب الروح ما أسمع	هزير الريح ما يسمع
الى الاصوات حيرانا	كلانا منصت يخشع

فم يا طفل لا تقلق	ظلام الليل قد أطبق
إذا ما الله أبقانا	يمود النور والرواق

النهاية

كفّنوه !
وادفّنوه
واسكّنوه
هوّة اللحد العميق .
واذهبوا لا تندّبوه، فهو شعبٌ
ميت ليس يُفَيّق

ذلّلوه
قتلوه
حملوه
فوق ما كان يطيق .
حمل الذل بصبر من دهور
فهو في الذل عريق

هتك عرض،
نهب أرض،
شنق بعض
لم تحرك غضبه .
فلماذا نذرف الدمع جزافاً ؟
ليس تحيا الخطية .

لا وربى !
ما الشعب
دون قلب
غير موت من هبه .
فدعوا التاريخ يطوى سفر ضعف
ويصنى كتبه

ولتاجر
فى المهاجر

ولتفاخر
بمزايانا الحسان.
ما علينا ان قضى الشعب جميعاً —
أفلسنا فى أمان ؟

رب نار
رب عار
رب نار
حركت قلب الجبان —
كل ذي فينا، ولكن لم تحرك
ساكننا الا اللسان.

امين مشرق

في الليل

بعد ما تسرع ساعات الضجر ذاهبات بنهار الكمد
أتسلى فيك ياليل السمر أنت سلوى البائس المنفرد

أنا ياليل غريب مبهم وكذا أنت بهيم وغريب
وعجيب في الحشا ما اكتم والذي تكتمه أنت عجيب
وكلانا قد براه السقم وكلانا ليس بأسوه طيب
قد تماثلنا شفاء وكدر وتشابهنا بصمت أبدي
رب صمت ضم معنى وخبر لذكاء العاقل المتقد

اسرعت رجل الاسى تدنو الى

فسعت من خوفها نفسى اليك

وطما يومى باحزاني على فمى قلبي باشجاني عليك
ادمعاً اسكبها من مقلتي على فيها راحتي ، فى راحتك
ولواني اسطمت دمي ما انتثر واصطبارى قدة من جلد
ولواني اسطمت سرى مظهر بعد ما كتمته فى كبدي

خلت قلبي ناسياً عهد الهوى

وظننت الوجد من صدرى ذهب
فتشأخنت على أهل الجوى وتضاحكت افتخاراً وطرب
ولنفسى قلت إن مال السوى للتصايب فلك المجد طلب
فاذا بى نسمة عند السحر سرحت مثل لهاث الولد
هف قلبي للقاها وطفر طائشاً من وجده لايتهدى

آه أحلام الصبا كم حلت بجناحها نفوس العاشقين
آه أوهام الصبا كم حولت
عن طريق المجد مجرى السالكين
آه أشواق الصبا كم قتلت بجواها من بنات وبنين

مات عيشي قبل موتي واندثر بين عينين وشعر أسود
ونهود في قدود كالثمر وخدود فوقها الورد الندي

مصت الاشواق روي مثلاً مصت الريح عير الترjus
وأنا بالذكر أحيا ألماً شاديا فيما بقي من نفسي
« جادك الغيث اذا الغيث همي يازمان الوصل بالاندلس »
ياليلالي الحب في ضوء القمر يا مجالي انسى المبتعد
ذهبت لم يبق لي الا صور تراءى بعدها في خلدي

في دمي للحب شوق وحنين وبنفسي للمعالي نزعات
فهو لا يترك لي الا الأنين وهي لا تورث غير الحسرات
ايها، الليل اذا حظ الحزين أيها الليل، اذا سر الحياة
بين آلام ووجد وخطر تمنى أننا لم نولد
راح أمسي بشبابي ونقر ياترى ماذا الاقي في غدي

يا أمي

يا علة كياني ، ورفيقة أحراني . يارجائي في شدتي ،
وعزائي في شقوتي . بالذتي في حياتي ، وراحتي في مماتي ،
يا حافظة عهدي ، ومطية سهدي ، وهادية رشدي ، يا صاحبة
فوق مهدي ، وباكية فوق لحدي - أمي وما أحلاك
يا أمي !

إذا تركني أهلي فأنت لا تركيني ، وإن ابتعد عني
أحبابي فأنت لا تبتعدين ، وإن تقمت على جميع الحياة فأنت
تصفحين وترحمين . أنت يامسكنة وجمي وألمي ، ومبيدة
بؤسي وهمي ، أنت وما أصفاك يا أمي !

على بساط الأوجاع ولدتني ، وبأيادي الآلام ربيتني ،
وبعيون الاتعاب رعتني ، وبصدر المشقات حميتني . ثم
كبرت فقلوت آلامك ، وهجرت وسلوت أيامك .
هكذا نسيت رحمي ، واحتقرت دمي . فما اعقني ، وما
أوفاك يا أمي !

قد غبت عنك يا أمي فغاب عن عيني وجهك الباسم
بعلامه الرقيقة الرزينة، ومعانية الدقيقة الحنونة . وتراكت
على رأسي هموم الحياة بضجيجها الهائل فضعضعت فكري،
وزلزلت قلبي . وتقاذفتني أمواج المتاعب والشقاء فمرت
في لجج طامية، وظلمات داجية، وبعينين غشى عليهما
الرعب نظرت من أعماق قنوطي فرأيت وجهك اللطيف
الثابت يتسم الى من الاقاصي البعيدة فبكيت وبكيت
وصرخت « يا أمي ! »

آه ما أقسى العربة، وما أضر الوحشة . قد كرهت
البعاد يا أمي واشتأقت نفسي ماضيها الأمين . قد كرهت
التمشي بين القصور الفخمة والمباني الشاهقة واشتأقت قلبي
الى يتنا الصغير المنفرد . قد كرهت روائح المعطور الفاتحة
من التماثيل المتخطرة في « برودواي » واشتأقت حواسي
الى رائحة الامومة المنتشرة من فسطانك العتيق . قد كرهت
نيويورك وكرهت أميركا وكرهت العالم ولم يبق لي في الحياة
الآن — الآن يا أمي !

في المساء عند ما انطرح على فراشي الخشن القاسي
أذكر يدك اللطيفتين الناعمتين . وفي الليل لما تمتزج
أفكاري بأبحرة الأحلام أشعر بقدميك الصغيرتين ينقران
الأرض حول سريري . وفي الصباح افتح عيني لأراك فلا
أرى غير جدران غرفتي السوداء ، ولأسمعك ، فلا أسمع
غير أصوات الغرباء . وفي النهار أمشي متلفتاً بين النساء
مفتشاً مسائلًا . أيتها النساء هل رأيتهن أمي ؟ »

جاء الكلاب تجلس في أحضان أمهاتها ، وفراخ
الدجاج تحتمي تحت أجنحة أمهاتها ، وغصون الأشجار تبقى
معانقة أمهاتها . وأنا — أنا وحدي — بعيد عنك مشوق
إليك يا أمي .

إذا مت يا أمي ، إذا قتلني وجدتي ، ودفنت آمالي في
هذه الأرض القاسية الغريبة ، فاجلسي عند الغروب قرب
غابة السنديان وأصفي . هناك روي امتزجت بنسيات الغابة
وأشجارها يرتلن بهدوء منمايلات مرددات « يا أمي ! يا أمي
يا أمي »

دموع الامل

أتانى الزمان على غفلة فأطفأ من عيشتى نورها
وماتت لأحيا الفتاة التى رأيت ولم أر لى غيرها
فكيف أ كفف من أدمى وحزنى يأكل فى أضلئى

صغيرين كنا كفرخى حمام نعيش بظل الصبي الناضر
فنلعب آنا وآنا ننام وزندى على صدرها الطاهر
يلعب شعراتها أصبعى وقلبي من سكره لا يعى

وياليلة بنس من ليلة يقطع قلبي تذكارها
أشدت عليها بد العلة وغابت من العين أنوارها
حنوت على جسمها الموجد وناديت ربى فلم يسمع

وماتت وقد همست مثلاً يسر النسيم باذن الأراك

وقالت وقد نظرت للسماء هناك بعيد التناهي أراك
فلا تبك يأساً ولا تجزع فامات حي ولم يهجم

أليل لقد مات صبرى متى يعود التلاقى ويحيا الأمل
وراح الربيع وجاء الشتا وليل حياتى طويل الأجل
وضاق الوجود على موضعي وسد بوجهاته الأربع

ألبلى حزنى شديد صميم وجسمي أضعف من ظله
وعقلي سقيم وعيشي أليم فاعدت أقوى على حمله
وعهدك فى القلب حي ممي وصوتك ما زال فى مسمي

يرى الناس صمتي ولا يعرفون فيحتقرون فؤادى الودود
فأمشى وأتركهم بهزأون لأننى غريب بهذا الوجود
أخبي نفسي ولا ادعي فليس بهذى الدنى مطمعي

أطارد همى بلحن الوتر ألوذ بأناته الواهيه

(١٢ — مختارات)

وأنظم شعري كنظم الدرر فلا اللحن يجدي ولا القافية
ولا كل هذا الوري مشبعي وأنت ذهبت فلا ترجعي

وحفك لولا الرجا بالخلود لذبت على يأسى المحرق
ولكن لي أملا أن يعود صفاء الحياة وأن نلتقى
سأحمل حزني الى مضجعي واجرع من كوبه المترع

فيأروح ليلاى ياراحتى وسوسنتى بين شوك البنات
وياكل حبي ويامنيتى ويانور نفسي بليل الحياة
سلام على طهرك الارفع ويارب عجل على مصرع



أردية الآباء

(باختصار)

الى اخوانى الشبان واخوانى الشابات الناظرين الى
الحياة الجديدة بعيون المحبة والشوق — الى كل فتى وكل
صبية ينظران الى أثواب الآباء بازدياء واشمئزاز والى كل
قديم بكره ونفور — الى العقول المستنيرة التى تطالب الخروج
من ظلمة الأوهام — الى الارواح المرتعشة حيننا الى الحرية،
المتعطشة الى ينايعها العذبة — الى النفوس الباسلة، الكارهة
جلجة السلاسل، المتمردة على أجيال العبودية — الى جميعكم
أيها البوابل ارفع صوتى بامل وافتخار وانادى — سيروا
أمامنا عقبات كثيرة، ولكنها ستذوب أمام العزم
الذى لا يذوب. وطريقنا طويلة طويلة فليكن صبرنا طويلا
طويلا ولتكن همنا شديدة شديدة. لا تلتفتوا الى خلف ولا
تحاولوا اصلاح القديم فانه أصبح للموت بل اجتهدوا فى

اصلاح نفوسكم وفي تقوية ذواتكم لاستقبال الحياة - حياة
الجديد - حياة القوة .

هبوا ! وللنفوس عنا غبار الخضوع والطاعة العمياء .
أنت أيها الفتى ، وأنت أيها الفتاة اللذان ربط الحب قلوبكما
فتعاهدا على الزواج ، لماذا تخضعان لارادة والديكما فتمزج
أنت حياتك بحياة لم توجد لها وتلتصقين أنت برجل لم يخلق
لك ؟ لماذا تقتلان الحب لتحجيا وهما يدعى الطاعة الوالدية ؟
وأى فضل تخرزانه في هذا العمل ؟ وأنت ، أيها المرأة
المظلومة ، التى تحمل « جزدانها » قارعة الأبواب من
صباحها الى مساءها لتجمع بضعة ريالات ينثرها زوجها على
مائدة القمار ويرجع ليلا لمجازاتها بالشتم والضرب ، لماذا
لا تتركين هذا الزوج الفاسد وتبصقين فى وجهه ووجه كل
مذهب وشريعة تربطك به الى الابد ؟ وأنت ، أيها الصبية
التي زوجها صغيرة بكهل لا تميل اليه فتركته وآلت على
نفسها أن تعيش حياتها وحيدة لئلا يسلفها الناس بالسنتهم
البذيئة ، لماذا تبعدين عنك شابا يعبدك وتعبدينه اكراما

لنلك الألسنة ؟ ولماذا لاتدوسين كل قلنسوة ولحية تقفان
بينكما وتفقثن حصرما فى عيون ترى الحقيقة عاراً وزنى ؟
قد بدأت فلماذا لاتكملين ؟ أنتم ، أيها المظلومون جميعكم
لماذا لاتكسرون هذه القيود وتحطمون هذه السلاسل
القديمة وتمرحون فى فضاء الجديد وتعتصمون فى معازل
القوة ؟ ؟

انظروا - ان كثيرين من ذوى العقول القديمة
والنفوس الذليلة الخاضعين لضلال العصور المظلمة سيرمون
هذه السطور بالجهالة والكفر ويضربون بها عرض الحائط
باحترار وغضب وعداء . أنا لأأبالي ، لان سطورى موجهة
اليكم واليكم تذهب . هؤلاء القوم أصبحوا على حافة القبر ،
فلا يخيفكم منهم وعيد ولا يفرم فيهم سكوت . اذا ضحكوا
منكم فاضحكوا منهم . وان نصحوكم فسدوا آذانكم ولا
تلتفتوا . وان وقفوا فى طريقكم فدوسوهم وسيروا . انما هم
للعدم وأنتم - للجديد - للقوة

سيروا يا اخوتي ! اننى أرى الثورة تقترب . كلما نظرت
الى هذه الوجوه المتشنجة والسحنات المتقبضة وكلما تأملت
بهذه العيون الحادة الملهبة الساكنة تمثل لى من ورائها
أرواح هائجة كالبحار ، متدفقة كاللجج ، ونفوس ملتهبة
كالبراكين ، متواثبة كالصواعق ، وسممت دمدمة بعيدة
من أطراف الآفاق تقترب وتنجلي رويداً رويداً فأقول فى
نفسى —

ثورة ! طوبى للمتردين ! طوبى للأبطال !

من وراء الجثث المتدلية من جبال المشانق — من
وراء الأجساد الذائبة على نيران التوجيع — من وراء
الشراذم المتبددة فى جميع أقطار الأرض لا تحمل راية ولا
تعرف وطناً — من وراء هذه الأيام السوداء والليالى
الخفيفة المحشوة بالمهالك — من وراء جميع ذلك أرى طلائع
صبح ناصع البياض تبصبص فى جبينه أسلاك من نور شمس
لامعة مبشرة باقتراب نهار ساطع . ووسط هذا البهيق
الجميل المهيب أرى عسكرياً من الشبان المفتولى السواعد

والصبايا المورديات الحدود والأولاد الممتلئين نشاطاً وحركة
يرفعون رؤسهم بكبر وافتخار ويصيحون بأصوات تكاد
تطبق الأفق منشدين :

من تردى برداء مارآه لأبيه
نعمه الله عليه وعلى كل بنيه



وليم كاتسفليس

قصة أم

١

تزوجته بلا حب ، ولكنها لم تذكره على قبوله
فكانت بعملها هذا كأولف من سواها، وكان كأولف غيره
استمالها زخرف الزواج ، وأغرقتها الثروة
وأكثر من هذا كله — جذبتها عاطفة الأمومة
عاطفة تولد مع الطفلة ، وترتع مع الابنة ، وتنمو مع الفتاة
فبين أخوها يلعب بالأكر تعانق الابنة العويته ،
فتنتقل من الاعتناء بأخر العوبة الى العناية بأول ولد

وهو استماله فيها الجمال والتقوى والطهارة .
فالمرء يميل إلى ما ليس فيه
وما أكثر ما يقتزن النمر المفترس بالحمل الوديع
وما أكثر ما تجمع الوسادة الواحدة فوق يياضها الناصع

قدارة الوحل وطهارة الزنينة النقية

٢

انتهت الاحتفات بالعرس وهنأها الناس .
وأصبحا في عرف شريعة البشر شخصا واحدا .
ودخلت الفتاة مضجعا لم يدفعها اليه ميلها .
واحتملت قبلة لم تتولد الرغبة اليها في نفسها ،
وعانقها زند لم يضطرب له قلبها ،
ولمستها شفتان لم يرتجف لمسها جسمها .
وهكذا تم تمثيل رواية الحب . وهي هي بطة روايتها
فلم يصادف ذلك التقليد صدى في اعماق أحشائها .
فكانت كالقربان على هيكل مولوخ الفظيع
تلتهم النيران جسدها ، والناس من حولها فرحون ،
لأنهم يرون الزخرف الخارجى ، والقلوب لا يرون .
فشعرت بفراغ من حولها كأن الدنيا خلت من ساكنيها .
كانت تشبع من الاكل ، ومن النوم ، وتلبس أنفرا اللباس
ولكن قلبها عطشان ونفسها جائعة قد ملأها اليأس .

اذ ترى زوجها يشتهي الجسم منها ولا يبالي بالنفس
فكانت كل قبلة منه كأنها طعنة ، وكل ضمة كأنها ذلة
وهكذا وقفت فتاة في مأتم شبابها ،
وصبية باكية فوق ضريح صباها .

٣

وكانما الطبيعة ندمت على قسوتها .
وأرادت محو أثمها والتعويض عن ظلامتها .
فأيدت السنة الأزلية والقاعدة الأبدية .

وأشمرت الفتاة بازدياد الحياة فيها
تغيرت مجاري أفكارها المظلمة السوداء ،
واتقشمت النجوم المتلبدة في جو حياتها .
اذ وجدت الحب : ... حبها لذاتها !
تلك الذات التي ستلد ذاتا !

*
* *

ولما جاء الصبي بين الابتسامة والألم .

رفعت رأسها من الوساده لراه .
فشعرت أن الحياة جميلة بمرآه .
وصبت كل ما في نفسها من الكنوز المكنوزة
وما في قلبها من العواطف المخزونة
فوق ذلك الرأس الصغير الأُصْلَع !

٤

تبسمت لها الحياة، لابل ضحككت
وأصبحت شمسها تشرق من ثغر الطفل ،
وسعادتها تتدفق من أصابعه الصغيرة .
ولكن واحسرتاه ! ماهذه النعمة المتلبدة
في جو حياتها الجديدة ؟
ويح المرض ! ألم يجد سوى طفلها ؟
هي ليس لها في العالم سواء
فما بال الاله يجربها هذه التجربة ؟

أسرع الأطباء وبذلوا في معالجته العناية

ولكن المرض السارق كان كل يوم فى زيادة .
وكانت الأم كل يوم تقترب شبرا من القبر :
ثم جاء يوم اشتدت فيه وطأة الداء .
وحار فى أمرهم الأطباء .

فدعوا لنجدتهم أستاذا شهيرا
فتح له العلم أبوابه المغاقة ، وكشف له أسرارہ الغامضة
جاء الاستاذ وفحص الطفل مليا
ثم نادى الاب واختلى به برهة .
ولما عاد الى سرير الطفل المحتضر

حيث الأم جاحظة العين ، محلولة الشعر
تنظر الى شفتيه لتقرأ عليهما الموت أو الحياة
كان جبين الأستاذ الشيخ مقطبيا
فمطف على الام وقال لها متأثرا —

« يا ابنتى . لم يبق محل للأمل الكاذب .
« هذا الطفل سيمود عن قريب الى صانعه
« وانصح لك ألا تعرضى طفلا آخر للعذاب

« قبل أن يبرأ زوجك من علته ! »
فصاحت الفتاة وقد دارت من حولها الأرض
« زوجي ؟ ما هي علته ؟ وأي دخل لعلته بطفلي ؟ »
فقال الطبيب . « أن زوجك مصاب « بالداء »
ومن كانت هذه علته يجنى على ولده ونسله ! »

٥

لما عادت الفتاة الى رشدها كان الغلام قد قضى !
وأبوه واقف الى جانب السرير ، مطأطأ الرأس .
فهضت ومشت الهويناء الى حيث زوجها
ولم تك في عينها دمة ، لأن الدمع كان في قلبها
دنت منه فزاد رأسه انحناء .
وعلت جبهته حمرة كانت قد محتها السنون .
فقال بهدوء كأن الجحيم لم يك في احشائها .
« يارجل . أنت قتلت سعادتي وهنائي ؟
« وجعلتني أمة بلا ارادة في مضجع العار !
« وسلبتني حق ارثي من الطبيعة أمي ! »

« ولكنى لم أشك منك أو اليك ولم احتج .
« ولكن .. ولكن .. بأى حق تقتل طفلى ؟
« ماذا جناه نحوك ملاكى هذا . يا قاتل ؟
« بماذا أساء اليك حتى ذبحته يافاتك ؟
« ماذا فعل حتى خنقته بيدك أيها الوحش ؟ »
ثم اختنق الكلام فى حلقها
وخرجت عيناها من حدقتيهما .
فضحكت ... ضحكت مقهقة . وتركزت الغرفة ...

٦

هنالك فى المقبرة ضريح صغير .
لاتذبل الزهور من حوله
لأن يد الحبيبة تحفظها زاهية زاهرة
زر الضريح الصغير قبيل الغروب
تجد هناك امرأة كللها الشيب بثلوجه
جالسة على مقعد خشبي
كانها تمثال الحزن الابدى